أثر القصة القرآنية في الأدب الأردي

(قصة طوفان سيدنا نوح عليه السلام نموذجا)

*الدكتور الحافظ عبد القدير

Abstract:

Allah Almighty sent Hazrat Noah (AS) to "Banu Rasib" to invite them to the way of their Lord. He lived among them 950 years performing his duty but they did not follow him and refused to leave idols worship. So Allah punished them with a great flood and storm which killed and drowned all of them except those who were boarded on the ark of Noah (AS). Due to the importance of this story it has been narrated in different chapters of the Holy Qur'an.

The Urdu writers and poets have discussed different aspects of this story making it the subject of their writings, both in poetry and prose. They tried to find the answers of questions such as: whether this flood surrounded whole of the earth or only those areas in which people of Noah's period lived, moreover whether the mountain of Judi was the ultimate destination of the ark of Noah or it was some other mountain etc.? And some of them wrote stories and tales in prose or poetry in the style of Noah's story. We have made some of these Urdu books, articles and poems the subject of this paper.

It is divided into four parts. In first part we talked about the name of Hazrat Noah (A.S) and his age, in second part we wrote his story mentioned in the Holy Qur'an very briefly. In third part we highlighted those Urdu books that made this story their subject, and in fourth part we have dealt with the poetry which was taken from this story.

Key Words:

جبل الجودي، قصة نوح، الأدب الأردي، سفينة نوح، بنو راسب، الشعر الأردي، طوفان نوح، القصة القرآنية

أرسل الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله لهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وإخراجهم من ظلمات الكفر والفسوق والعصيان إلى نور التوحيد والطاعة والإيمان، واحدا تلو آخر، كان أولهم سيدنا آدم عليه السلام وآخرهم وخاتمهم سيدنا مُحَمَّد ﷺ، وكان من بينهم سيدنا نوح عليه السلام الذي أرسله الله إلى بني راسب العراقيين، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ودعاهم إلى سبيل ربهم،

*الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور.

ولكنهم لم يتبعوه، وبالتالي لم يؤمنوا بوحدانية الله سبحانه وتعالى، فأنزل الله عليهم العذاب في صورة طوفان غرق فيه جميعهم إلا من ركب سفينة نوح.

وقد ذكر الله عزوجل في القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين من هؤلاء الأنبياء[1] وقص قصص بعضهم، أما قصة سيدنا نوح عليه السلام فقد ذكرها الله في سور مختلفة من القرآن الكريم، وهذه القصة قد شحذت قرائح الأدباء من الكتاب والشعراء في الأدب الأردي، فجعلوها موضوعا لما جاد به أقلامهم من النثر والشعر، فمنهم من نقد هذا الموضوع وسلك سبيل المستشرقين، وأثار أسئلةً علميةً حول هذا الطوفان مثل: هل أحاط هذا الطوفان بجميع نواحي الأرض أم أغرق تلك المناطق التي عاش بها قوم نوح فقط، وهل الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح كان الجودي أم غيره وغير ذلك من التساؤلات؟ ومنهم من كتب قصصًا وحكاياتٍ على منوالها نثرا أو شعرا. فنحن قد جعلنا بعضا من هذه الكتب والمقالات والقصائد الشعرية موضوعا لهذا المقال، وفي البداية تكلمنا عن اسم سيدنا نوح عليه السلام ونسبه، ثم سطرنا قصته المذكورة في القرآن الكريم باختصار بالغ، ثم تحدثنا عن تلك الكتب التي جعلت هذه القصة موضوعا لها، وأخيرا تناولنا تلك الأبيات الشعرية التي أخذت من هذه القصة مدادا لها.

اسم سيدنا نوح و نسبه

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلائيل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر[2] وكان اسمه "عبد الشكور" أو "عبد الغفار"، ولُقب بسبب كثرة بكائه

1- وهم:آدم وإدريس و نوح وهود وصالح ولوط وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وشعيب وأيوب وذو الكفل ويونس وموسى وهارون وإلياس واليسع وداوود وسليمان وزكريا ويحي وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

2- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: التركي، عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر للطباعة والنشر، 1424هـ/2003م، ج:1، ص:237.

ونوحه على نفسه بلقب "نوح"[3] يُروى أن الشيطان لقيه بعد الطوفان وأخبره بأنه فرح كثيرا لما عرف عن دعوته على قومه ونزول العذاب عليهم، وذلك لأنه كان من الممكن أن يجد الإيمان سبيله إلى قلب أحد منهم في المستقبل فيتوب عن عبادة الأوثان والشرك إلى الإيمان بالله وحده، وبالتالي يدخل الجنة، ولكن لما نزل العذاب هلكوا جميعا وصاروا من أهل النار، فندم سيدنا نوح على ذلك كثيرا وبكى بكاء مرا.[4]

كان بينه وبين آدم عليه السلام عشرة قرون.[5] وقد جعله رسول الله ﷺ "أوّل الرسل" في بعض أقواله[6] عُمّر طويلا، وقد اختلف العلماء في عمره ووفاته[7]، والله أعلم كم عاش بعد الطوفان، وأما ضريحه فهو بالمسجد الحرام حسب قولٍ من أقوال رسول الله ﷺ[8] وقال البعض إنه ببلدة

3- يقول صاحب تاج العروس: ونوحٌ بالضّمّ اسم نبيّ أعجميّ ومنهم من قال اسمه عبد الشّكور أو عبد الغفار وأنّ نوحاً لقبه لكثرة نوحه وبكائه على ذنبه كذا قيل. انظر: الزبيدي، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج:7، ص:199.

4- وقد ورد في الحديث الصحيح أن الناس يأتونه يوم القيامة للشفاعة ولكنه يعتذر عن ذلك ويقول: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي نفسي. البخاري، أبو عبد الله، مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: الناصر، مُحَمَّد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة : الأولى 1422هـ، ج:6، ص:84، رقم الحديث: 4712

5- في صحيح ابن حبان: حدّثنا محمّد بن عمر بن يوسف، حدّثنا محمّد بن عبد الملك بن زنجويه، حدّثنا أبو توبة، حدّثنا معاوية بن سلّامٍ، عن أخيه زيد بن سلّامٍ، سمعت أبا سلّامٍ، سمعت أبا أمامة «أنّ رجلًا قال: يا رسول الله أنبيٌّ كان آدم؟ قال: نعم. مكلّمٌ. قال: فكم كان بينه وبين نوحٍ؟ قال: عشرة قرونٍ». انظر: مُحَمَّد بن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1414هـ/1993م، ج:14، ص:69، رقم الحديث:6190.

6- عن أبي هريرة ﷺ قال أتي برسول الله ﷺ بلحم... فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك. نفس المصدر، نفس الصفحة.

7- وقد أنزل الله سبحانه وتعالى آية تدل على أنه قضى في قومه تسعمائة وخمسين سنة يدعوهم إلى التوحيد وترك الشرك، ثم نزل عليهم الطوفان، يقول القرآن الكريم: ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، فأخذهم الطوفان وهم ظلمون.

8- عن ابن سابط: أن النبي ﷺ قال: دحيت الأرض من مكة، وكانت الملائكة تطوف بالبيت، فهي أوّل من طاف به، وهي"الأرض" التي قال الله:"إني جاعلٌ في الأرض خليفة"، وكان النبيّ إذا هلك قومه، ونجا هو والصالحون، أتاها هو ومن معه فعبدوا

تُعرف بكرك نوح[9]، قد ذكر الله سبحانه وتعالى اسمه في ثلاث وأربعين آية من ثمان وعشرين سورة من سور القرآن الكريم تقريبا. بعثه الله إلى "بني راسب" العراقيين الذين كانوا غارقين في الكفر والفسق والفجور، وقد اتخذوا لأنفسم آلهة.

قصة سيدنا نوح عليه السلام في القرآن الكريم

تُعتبر قصة سيدنا نوح وقومه والسفينة التي بناها من أشهر القصص وأهمها في الديانات الإبراهيمية السماوية، ونظرا لأهمية هذه القصة قد قصّها الله سبحانه وتعالى في سور مختلفة من القرآن الكريم[10] كما أنه أنزل سورةً مستقلةً تحمل اسم سيدنا نوح.

وقصته بالإيجاز أن الناس كانوا على دين الإسلام بعد سيدنا آدم عليه السلام، ويعبدون الله سبحانه وتعالى ولا يشركون به شيئا، وكان منهم "ود" و"سواع" و"يغوث" و"يعوق" و"نسر" الذين كانوا رجالًا صالحين، فلما ماتوا ألقى الشيطان في أذهان الناس فكرة تصوير هؤلاء الرجال كي لا ينسوهم، وزيّنها لهم، ففعلوا ذلك، فلما مات هؤلاء، وحلّ محلّهم آخرون دبّ إليهم الشيطان، وقال لهم: كان آباؤكم يعبدون هؤلاء ويطلبون منهم حاجاتهم، ويسقون بهم المطر، فجعلوا هذه الصور تماثيل مجسّدةً، وبدأوا عبادة هذه الأوثان والشرك بالله عز وجل، فأرسل الله إليهم عبده ورسوله نوحًا ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، فلبث في قومه تسعمائةٍ وخمسين عاما، ودعاهم إلى الإيمان بالله

الله بها حتى يموتوا. فإنّ قبر نوحٍ وهودٍ وصالحٍ وشعيب، بين زمزم والرّكن والمقام. انظر: الطبري، أبو جعفر، مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، الطبعة الأولى: 1420هـ/2000م/ ج: 1، ص:448.

9- نجد آراء كثيرة حول مكان رست فيه سفينة سيدنا نوح عليه السلام، وبناء على ذلك نجد آراء كثيرة حول مكان وجود قبره، ومن هذه الأماكن: مدينة جزرة الكردية الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية لدولة تركيا، وقرية كرك نوح الواقعة في لبنان.

10- منها النساء والأعراف والتوبة ويونس وهود وابراهيم والإسراء ومريم والحج والفرقان والشعراء والأحزاب والصافات وص وغافر وق والذاريات والنجم والقمر والتحريم.

سبحانه وتعالى وحده وترك الشرك وعبادة الأصنام والأوثان ليل نهار، ولكن لم يزدهم دعاءه إلا فرارًا وعصيانًا، وما آمن به إلا الفقراء من قومه. [11]

أما الأغنياء فكان ردهم: "مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِيْنَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ"[12]. إنهم لم يألوا جهدا في إيذاء سيدنا نوح، واستخدموا كل ما يمتلكونه من وسائل في سبيل ذلك، فلما يئس سيدنا نوح عليه السلام من إيمانهم دعا الله عليهم أن لا يذر على الأرض ديارهم ونسلهم، فقبل الله دعاءه وأمره أن يبني سفينة كبيرة، فبناها[13] وكانت تلك الأيام أيام القحط، فكلما مرّ عليه ملأ من قومه استهزؤوا به وسخروا منه.

ولما فرغ سيدنا نوح من صنع الفلك أمره الله سبحانه وتعالى أن يّحمل فيها من آمن به من قومه، وأن يحمل من كلٍ زوج اثنين من الحيوانات لبقاء نسلها، ففعل ذلك، ثم أنزل الله على قومه عذابا أليما مخزيا في صورة مطرٍ لم تعهده الأرض قبل ذلك ولا بعده، فأمطرت السماء وفار التّنّور وعيون الأرض، فامتلأت جبال الأرض ورمالها وقفارها وحزنها وسهلها، وشمل هذا الطوفان جميع تلك المناطق، وأغرق قمم الجبال التي كانت تناغي السماء، وبالتالي لم يغادر صغيرًا ولا كبيرًا من قوم نوح إلا أغرقه، فلم يبق من قومه حيًّا إلا من كان قد ركب تلك السفينة.

11- قد اختلف العلماء في عدة من كان معه في تلك السفينة، فمنهم من ذهب إلى أنهم كانوا ثمانين نفسا ومعهم نساؤهم، ومنهم من قال إنهم كانوا 72 نفسا. والله أعلم بالصواب.

12- سورة هود، الآية:27.

13- قد اختلف العلماء في حجم هذه السفينة. يقول الثوري: كان طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا. وقال قتادة: كان طولها ثلثمائة ذراعٍ في عرض خمسين ذراعًا. وقال الحسن البصريّ: ستّمائةٍ في عرض ثلثمائةٍ. وعن ابن عبّاسٍ: ألفٌ ومائتا ذراعٍ في عرض ستّمائة ذراعٍ. وقيل: كان طولها ألفي ذراعٍ، وعرضها مائة ذراعٍ، قالوا كلّهم: وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعًا، وكانت ثلاث طبقاتٍ كلّ واحدةٍ عشر أذرعٍ ; فالسّفلى للدّوابّ والوحوش، والوسطى للنّاس، والعليا للطّيور، وكان بابها في عرضها، ولها غطاءٌ من فوقها مطبقٌ عليها. انظر: البداية والنهاية، ج:1، ص:258-259.

ولما انتهى هذا الطوفان وتوقّفت السماء عن إنزال المطر وبلعت الأرض ماءها استقرت هذه السفينة على ظهر جبل الجودي... فخرج سيدنا نوحً ومن كان معه من الرّكاب من السفينة، وكان ذلك في اليوم العاشر من المحرم عند بعض المؤرخين.[14]

وكذلك ذكر الله سبحانه وتعالى مآل "كنعان" ابن نوح الذي لم يؤمن بوحدانية الله سبحانه وتعالى ورسالة نوح، وبالتالي لم يركب سفينته، فلما نزل الماء وبدأت السفينة تسيل على وجهه طلب منه نوح عليه السلام أن يركب السفينة، ولكنه رفض ذلك قائلًا: " سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء"، فصار من المغرقين.[15]

وكذلك ذكر الله عز وجل جزاء زوجته التي خانته ولم تؤمن به، بل رافقت عشيرته وقومه الكفار، فكانت هي الأخرى التي غرقت من أسرة نوح عليه السلام. [16]

قصة سيدنا نوح عليه السلام في الأدب الأردي

قد شحذت هذه القصة القرآنية المليئة بالمواعظ والدروس قرائح العلماء والشعراء والأدباء الأرديين، فتناولوا جوانبها المختلفة في ما جادت به أقلامهم شعرًا ونثرًا، فمنهم من نقل هذه القصة إلى الأردية ونقد جوانبها المختلفة وسلك سبيل المستشرقين، وأثار أسئلةً علميةً حول طوفان سيدنا نوح عليه السلام مثل: هل أحاط هذا الطوفان بجميع نواحي الأرض أم أغرق تلك المناطق التي عاش

14- ذكر بعض المؤرخين عن العديد من الأحداث التي وقعت في العاشر من محرم، مثل أن الكعبة كانت تُكسى قبل الإسلام في يوم عاشوراء، ثم صارت تُكسى في يوم النحر، وهو اليوم الذي تاب الله فيه على آدم، ونجى نوحا وأنزله من السفينة، وأنقذ إبراهيم من نمرود، ورد يوسف إلى يعقوب، وأغرق فرعون وجنوده ونجى موسى وبني إسرائيل. وغفر لنبيه داود، ووهب سليمان ملكه، وأخرج يونس من بطن الحوت، ورفع عن أيوب البلاء، وهذه الأحداث كلها أنكرها بعض علماء أهل السنة، وهو اليوم الذي قتل فيه سبط النبي سيدنا حسين بن علي في كربلاء ظلما.

15- يقول القرآن الكريم: وهي تجري بهم في موج كالجبال، ونادى نوح ابنه وكان في معزل يبني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهم الموج فكان من المغرقين.

16- يقول القرآن الكريم: ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوك كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين.

بها قوم نوح فقط، وهل الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح كان الجودي أم غيره وغير ذلك من التساؤلات؟؟ ومنهم من كتب قصصًا وحكاياتٍ على منوالها.

وهذه الكتب الأردية التي جعلت قصة نوح عليه السلام موضوعًا لها كثيرة، منها: "قصص الأنبياء قرآن وأحاديث صحيحه كي روشني ميں" أي قصص الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة لعطاء الله ساجد، (وهو ترجمة أردية لكتاب "قصص الأنبياء" الشهير لابن كثير)[17] وكذلك قام بترجمة نفس الكتاب الدكتور الحافظ عمران أيوب اللاهوري.[18]

وكذلك كتب الكاتب الشهير الشيخ أبو الحسن على الندوي للأطفال قصص الأنبياء بالعربية في أربعة أجزاء، وذلك باسم "قصص النبيين"، وقد تُرجم هذا الكتاب أيضا إلى الأردية، وقام بترجمته الدكتور القارئ فيض الرحمن، وقد ذكر المصنف قصة سيدنا نوح في الجزء الأول من هذا الكتاب.([19])

ومن هذه الكتب الأردية "تذكرة النبيين" للشيخ عبد العزيز الهزاروي، يحتوي هذا الكتاب على 373 صفحةً وقام بطبعه ونشره مكتبة العلم بلاهور، جمع المؤلف في هذا الكتاب قصص الأنبياء وقصّها بلغة سهلة وأسلوب جميل، أما قصةُ طوفان سيدنا نوح عليه السلام فإنها مشتملة على 19 صفحة، وذلك من صفحة رقم 67 إلى صفحة رقم85.

ومن ميزات هذا الكتاب أن مؤلِفَه قد أخذ مضمون كتابه – قصص الأنبياء- من مصادرَ موثوقٍ بها، وقد أثبت في بداية الكتاب قائمة هذه المصادر، وكذلك نرى الجدية تسود هذا الكتاب من أوله إلى آخره، ومن دأبِ المؤلف أنه يذكر في نهاية قصة كل نبي منظومةً شعريةً مدحية يثني فيها على ذلك النبي ويذكر بعض أحواله. أما المنظومة حول سيدنا نوح فهي كالآتي:

17- قامت مكتبة دار السلام بلاهور بنشر هذا الكتاب الذي يشتمل على 642 صفحة.

18- قامت مطبع "فقه الحديث ببليكيشنز" لاهور بنشر هذا الكتاب، وعدد صفحاته 501.

19- لم نفصل فيهما القول بسبب كونهما ترجمة للكتب العربية.

هر نبی وهر ولي سے اشقياء بحث کرتے آئے هيں اب تک سدا
جوہے سمجھاتا انہیں راہ خدا اس کے دشمن هوتے هيں وہ بے حياء

رنج سہنا سنت ابرار ہے

نوح کي ايذا کروں کيونکر بيان تھر تھرا جائيں زمين وآسماں
کافروں کي مار سے اے مومناں ريزہ ريزہ هو گئی تھيں هڈياں

جائے مرهم طعن بدگفتار ہے

اس نے آدم کي کردي توبہ قبول تاخلافت اور نبوت هو حصول
جب هوئے نوح نبی خاطر ملول دي امان ان کو ڈبائے سب جهول

یہ حدیث وآیت اُخبار ہے(20)

لم يزل الأشقياء يتنازعون منذ الأزل وحتى الآن مع كل نبيٍّ ووليٍّ. يجادل هؤلاء الذين لا حظَّ لهم من الحياء كل من يدعوهم إلى سبيل ربهم، فتحمّل الأضرار سُنَّةُ الأبرار.

كيف أبين مصائب سيدنا نوح، أخشى أنه سوف ترتعد من بيانها الأرض والسماء. أيها المؤمنون! كانت عظامه قد تكسرت بضروب الكفار. وكانوا يؤذونه بكلام فظيع شنيع بدلا من مواساته وتضميد جروحه.

إنه (الله) قَبِل توبة آدم، ووهبه الخلافةُ والنبوة، ولما حزن نوح النبي أنجاه من ذلك وأغرق جميع الجهلاء...هذه الأنباء مأخوذة من القرآن والحديث.

ومنها كتاب "قصص القرآن" للشيخ مُحَمَّد حفظ الرحمان السيوهاروي، يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء و1541 صفحة، أما قصة سيدنا نوح عليه السلام فإنها في الجزء الأول وتحتوي على

20- الهزاروي، عبد الغزيز، تذكرة النبيين، لاهور، مكتبة العلم، ص:85.

28 صفحة، أي من صفحة 61 إلى صفحة 89. والمعلومات التي جمعها المؤلف في هذا الكتاب مأخوذة مما ورد في التوراة والقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، ومما يميز هذا الكتاب عن نظرائه أن مؤلفه لم يتورط في الأساطير والخرافات، فعلى سبيل المثال يقول تحت عنوان جبل الجودي:

"بالاختصار، لما انتهى الطوفان بسبب أمر إلهي استوت سفينةُ نوح على جبل الجودي "وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظلمين"، وقد ورد في التوراة أن الجودي جبل من جِبال أراراط، وأراراط في الحقيقة اسم لجزيرة أي اسم تلك المنطقة التي تقع بين الفرات ودِجلة ومن ديار بكر إلى بغداد".[21]

وكذلك تناول المؤلف قضية مكان حدوث طوفان نوح، فهل كانت لقمته جميع الكرة الأرضية أم بقعة خاصة من بقعها؟ وهل كان إقليميا أم عالميا؟ قد أخبر المؤلف بأنه يوجد رأيان في هذا الأمر منذ القدم، يرى بعض علماء الإسلام وعلماء اليهود والنصارى وبعض علماء الفلكيات وطبقات الأرض أن هذا الطوفان لم يعم جميعَ الكرة الأرضية، بل أحاط بتلك المنطقة التي كان بنو راسب يعيشون فيها، ومساحتها مائةُ ألف وأربعون ألفَ كيلوميتر مربعٍ.[22]

بينما يرى بعض علماء الإسلام والفيزيائيين وعلماءِ طبقات الأرض أن هذا الطوفان كان قد أحاط بجميع الكرة الأرضية، وفي رأيهم لم يكن هذا الطوفان وحده هو الذي أحاط بجميع الكرةِ الأرضية، بل نزلت عليها طوفانات عديدة كان هذا الطوفان واحدا منها.

بعد إيراد هذين الرأيين والتفاصيل المتعلقة بهما يقول المؤلف إن الباحثين والمحققين قد توصلوا إلى أن هذا الطوفان كان قد أحاط بمناطق قوم سيدنا نوح فقط ولم يكن عاما، وكذلك يرى المؤلف أن من يقول إن جميع الناس الموجودين على هذه الكرة من ذرية سيدنا نوح فقوله هذا موضع نقاش.

21- السيوهاروي، حفظ الرحمان، قصص القرآن، ج:1، ص:74.

22- قصص القرآن، ج:1، ص:75.

وكذلك تناول المؤلف موضوع ابن نوح وأثار أسئلة حوله: هل كان هذا الابن ابنا له من صلبه، أم كان ابنا لزوجته من زوجها الماضي؟ وفي رأيه كان كنعان ابنا حقيقيا له بسبب آية قرآنية وردت فيها كلمة "الابن"، وكذلك تكلَّم بالتفصيل عن زوجته، قد أثبت القرآن أنها كافرة وخائنة، يقول الله سبحانه وتعالى:

"ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيْلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ".[23]

فهل كانت زانيةً أيضا، قد تضاربت آراء العلماء في ذلك، وفي رأي المصنف يمكن لزوجة نبي أن تكون كافرة ولكن لا يمكن لها أن تكون فاحشة وزانية أيضا، وكذلك تناول قصة عمره عليه السلام، فهل فعلا كان عمره طويلا، يرى المصنف أن النص القرآني الصريح يدل على أنه عُمر طويلا.

بيَّن أبو العلاء المعري – الشاعر العباسي الشهير- في بعض أبياته أن الناس في الماضي كانوا يستخدمون كلمة "سنة" أو "عام" ويريدون بها شهرا[24] ففي ضوء هذا القول ذهب بعض العلماء[25] إلى أن سيدنا نوح دعا قومه إلى عبادة الله ثمانين عاما، ولم يتجاوز عمره مائة وخمسين سنة.

23- التحريم:10.

24- إنه يشير إلى الأبيات التالية لأبي العلاء المعري:

وادعوا للمعمرين أمورا لست أدري ما هن في المشهور

أتراهم فيما تقضي من الأيـــام عدوا سنيهم بالشـــهور

كلما لاح للعيون هلال كان حولا لديهم في الدهور

انظر: المعري، أبو العلاء، اللزوميات، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، بيروت، مكتبة الهلال، بدون ذكر السنة، ج:1، :427-428

25- يعد الأستاذ عباس محمود العقاد من أوائل العرب الذين أثاروا هذه القضية في العصر الحديث.

يقول مؤلف الكتاب معلقا على قول المعري هذا: ...ولكن قول المعري هذا ليس بصحيح، لأننا لو نقبله ليكون هذا القول حكاية عن دأب قبيلة غير معروفة، لأنه لم يثبت عن قبيلة من قبائل العرب أنها كانت تستخدم زمن نزول القرآن كلمة عام أو سنة في معنى شهر.

وفي نهاية القصة ذكر المصنف أبْياتا فارسية لسعدي الشيرازي[26]

وجلال الدين الرومي([27]) وهي:

پسر نوح بابداں بہ نشست خاندان نبوتش گم شد

سگ اصحاب کہف روزے چند پے نیکاں گرفت مردم شد[28]

صحبت صالح ترا صالح کند صحبت طالح ترا طالح کند[29]

أي جالس ابن نوح الأشرارَ، فانتهت علاقته بأسرة النبوة، بينما صاحبَ كلب أصحاب الكهف الأبرار لأيام، فعُدّ إنسانا. (فالمصاحبة تُقرر مصير الإنسان) فمصاحبة الصالحين تجعلك صالحًا ومصاحبة الفجار تجعلك فاجرا.

كذلك كتب السيد سعيد على الزنجاني كتابًا مفصلًا باسم "قصص الأنبياء"، يحتوي هذا الكتاب على 500 صفحةٍ، طبع هذا الكتاب سنة 1988م. وقد فصل صاحبه الكلام في قصة نوح، وذلك من صفحة 41 إلى 50، ولما قرأت هذه القصة وجدت صاحبها حاطب ليل روى فيه كل

26- الشاعر والمتصوف الفارسي الشهير الذي ولد في مدينة شيراز سنة 606 هـ على القول الأشهر، وتوفي فيها بين سنة 690 و 694هـ، ومن آثاره : كلستان وبوستان.

27- اسمه مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حسين بهاء الدين وعرف باسم مولانا جلال الدين الرومي، الشاعر والمتصوف المشهور وصاحب المثنوي الشهير باللغة الفارسية وصاحب الطريقة المولوية المنسوبة إليه، ولد في بلخ، أفغانستان سنة 604هـ وتوفي سنة 672هـ،

28- سعدي الشيرازي، مصلح الدين، كلستان سعدي، ترجمة: أويسي، مُحَمَّد عطاء الرسول، بهاول بور، مكتبة أويسية رضوية، ص:30

29- جلال الدين، مولانا، الرومي، مثنوي مولوي معنوي، الترجمة الأردية: القاضي سجاد حسين ، دلهي، سب رنگ كتاب گهر، 1974 م، ج: 1، (الدفتر الأول)، ص:102.

ما وجده من الأساطير والاسرائيليات الخرافية، إنه لم يجد غثا أو سمينا متعلقا بقصة نوح إلا وقد جمعه فيها بدون النظر إلى صحته أم سقمه، ولجعل القصة جذابة وقريبةً من أذهان الناشئين لوّنها بألوانٍ لا نجدها في كتاب الله والأحاديث الصحيحة لرسول الله ﷺ. وفيما يلي من السطور نقدم ترجمة فقرة طويلة من هذه القصة ليتضح أسلوب هذا الكاتب ومنهجه في سرد القصة.

"... علّمه جبريل صنع السفينة، وقطع نوح تلك الشجرة في صورة ألواح خشبية، وكتب اسم آدم على اللوح الأول، واسمَ شيث على الثاني واسم إدريس على الثالث، وهكذا كتب أسماء مائة وأربعة وعشرين ألف نبي على تلك الألواح الخشبية، وكان اسم رسول الله ﷺ على اللوح الأخير...بالاختصار، انتهت الألواح، ولكن بقي من السفينة موضع أربعة ألواح، فأخبر نوح جبرائيل بذلك، فقال له جبرائيل: لا نبي بعد مُحَمَّد ﷺ، أما الألواح الأربعة الباقية فستُكتب عليها أسماء أصحابه الأربعة، أولهم أبو بكر الصديق وثانيهم عمر الفاروق وثالثهم عثمان الغني ورابعهم علي المرتضى رضوان الله عليهم أجمعين، فعليك أن تُركّب في السفينة هذه الألواح الأربعة، وببركتها تنجو السفينة من الغرق... وهكذا سوف ينجو من نار جهنم كلُّ من يكون في قلبه حب رسول الله وأصحابه هؤلاء الأربعة...، ثم قال له: تُوجد شجرة على حرف بحر النيل، أرسِلْ أحدا إليه ليأتي بها، وخذ منها تلك الألواح الأربعة، وركّبها في هذه السفينة، فطلب سيدنا نوح ذلك من أبناءه ولكنهم رفضوه وقالوا له: أرسل عوج بن عنق وهو أشدنا قوة وأعرفنا طريقا[30]، فدعا نوح عوج بن عنق وطلب منه أن يأتي بتلك الشجرة من بحر النيل، وقال له: لئن تفعل ذلك لأُطعمنك طعاما يشبعك، فقال له عوج: عاهِدني عليه، فعاهده على ذلك. فذهب إلى تلك الشجرة

30- قد ورد في الإسرائيليات أن هذا الرجل كان أطول الناس في ذلك الزمن، يقول القرطبي:"وما نجا من الغرق غير عوج بن عنق، كان الماء إلى حجزته، وسبب نجاته أن نوحا احتاج إلى خشبة الساج لبناء السفينة فلم يمكنه حملها، فحمل عوج تلك الخشبة إليه من الشام، فشكر الله له ذلك، ونجاه من الغرق" انظر: القرطبي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي والآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى: 1427هـ/2006م، ج:20 ص: 84 (سورة القمر: الآية:18).

واقتلعها، ثم أتى بها، فأعطاه سيدنا نوح ثلاثة أرغفة للأكل، فلما رآها عوج ضحك وقال يا نوح! آكل اثني عشر ألف رغيف في وجبة، – وحسب رواية أخرى كان يأكل الأرغفة بهذا القدر وما كان يشبع– فكيف تُشبعني هذه الأرغفة الثلاثة، فقال له نوح: سمِّ الله عليها وكُلها، ففعل ذلك وبدأ يأكل، فلما أخذ الرغيفَ الثاني وبدأ الأكل منه شبع شبعا لم يحتجْ إلى أن يأكل أكثر من ذلك...[31]

ثم لما خرج سيدنا نوح من السفينة أمره الله سبحانه وتعالى أن يزرع في الأرض تلك البذور والجذوع التي كان قد حملها معه في السفينة، فوجد جميع البذور والجذوع إلا جذع عنب، فبحث عنه في كل مكان ولكنه لم يجده، فسأل ربه عنها، فأخبره بأن إبليس اللعين قد سرقه، فخاطب نوح إبليس وقال له هات جِذع العنب الذي سرقته، ولكنه أنكر ذلك، فأخبره نوح بأن الله عزوجل قد أنبأه ذلك، فقال له: سأعطيك ذلك الجذع على أنك عندما تقوم بذرعه تسقيه مرة واحدة وأنا أَسقيه ثلاث مرات، فقبل نوح ذلك، وقام بزرعه وفعلا ما اتفقا عليه، أي سقاه نوح مرة واحدة، وأما الشيطان فإنه قتل ذئبا وأسدا وخنزيرا وروّى جذع العنب بدماءها... فالحلاوة المتواجدة في العِنب سببها نوح عليه السلام، وأما الخمر التي تُعصر منه فإنها بسبب إبليس اللعين، ومن أجل ذلك يماثل سلوك الشاربين للخمر في أول مرحلة سلوك الذئب ثم سلوك الأسد، ثم سلوك الخنزير، لأن شارب الخمر في حالة السكر لا يرى أحدًا ولا يسمع أحدا، ... فقال له إبليس: يا شيخ الأنبياء لك عليَّ منون كثيرة، فسلني شيئا أهبك إياه، فقال له نوح أيها اللعين! أخبرني عن ذنبي الذي سررت به. فقال: لم ترتكب ذنبًا طول حياتك ولكنك أهلكت ألوفا من الكفار بسبب دعائك عليهم، إنهم سوف يعيشون معي في النار، فلم يزل نوح يبكي بسبب ذلك لمائة سنة، ويوماً من الأيام سأله نوح: يا أيها اللعين! أخبرني عن أعمال تُدخل أولاد آدم النار؟ فقال: إنها أربعة، وهي

31- الزنجاني، سعيد علي، قصص الأنبياء، 1988م، ص:43-44 .

الحسد والحرص والتكبر والبخل.... ثم أمر الله سبحانه وتعالى نوحًا أن يبني مسجدا بألواح السفينة، فبنى نوح مسجدا على قمة الجودي، وبنى حوله بلدة سمّاها "ثمانين" أي ثمانون مؤمنا ومؤمنةً، عاش هؤلاء الناس مع نوح فيها، ولقي نوح أجله بعد أيام على ذلك.[32]

ومن كُتاب الأردية الذين فصّلوا القول في طوفان نوح وناقشوه "سرسيد أحمد خان"– الفلسفي والمصلح الشهير– [33] الذي كتب مقالا نقديا طويلا حول هذا الموضوع، وعنوانه: "ذكر طوفان نوح"، وفي هذا المقال سرد صاحبه تفاصيل القصة وتناول بعضها نقدا... فنظرا لأهمية هذا المقال وصاحبه نقوم بترجمة عربية لبعض الفقرات من هذا المقال، إنه يقول ما معناه:

"إن قطعة الأرض الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين والخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط، والتي تسمى بأرمينيا كانت مسكنًا لأجداد سيدنا نوح، ولا نجد ما يدل على أن سيدنا نوح أم أجداده تركوا هذه القطعة الأرضية واستوطنوا أرضًا أخرى، فلا نجد مانعًا يمنعنا عن قبول هذه البقعة كمسكن لسيدنا نوح.

وفي هذه البقعة الأرضية تقع تلك الدولة التي اشتهرت باسم أراراط، واشتهرت جبالها باسم جبال أراراط... والتي سمّيت بالعربية بجبال الجودي... هناك أمور لا بد من مناقشتها في قصة طوفان سيدنا نوح عليه السلام.

32- المرجع نفسه، ص:47-48

33- ولد سنة 1817م وتوفي سنة 1898م، وهو من أكبر رجال الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، ومؤسس جامعة عليكرة بالهند. نشأ في أسرة كان لها اتصال وثيق بالملوك المغول الذين حكموا شبه القارة الهندية قبل الاحتلال البريطاني. ألّف العديد من الكتب، ردّ فيها على بعض المغرضين من المستشرقين، ودعى فيها إلى تجديد الفكر الإسلامي، وله آراء تفرد بها. وتثير بعض أفكاره الحرة واجتهاداته الجريئة الجدل إلي اليوم بين مؤيّد ومكفّر. بصفة عامة قد اتسمت نظرته للدين بالسماحة واليسر وعمق النظر. تأثر به مفكرون مسلمون كبار من أمثال المصلح الإسلامي أمير علي والفيلسوف الشاعر مُحَمَّد إقبال والمجدد فضل الرحمن.

الأمر الأول: هل أغرق هذا الطوفان تلك القطعة الأرضية التي كانت سكنا لقوم نوح فقط أم أحاط بجميع بقاع الأرض، وأغرق جميع الكرة الأرضية في الماء، وبالتالي لم يترك على وجه الأرض إنسانا أو حيوانا أو طائرا حيّا سوى أولئك الذين ركبوا في السفينة.

يقول اليهود والمسيحيون إن هذا الطوفان كان قد أحاط بجميع الأرض، ومن دأب المفسرين أنهم يقلدون روايات اليهود بدون أن يتمعنوا في كلمات القرآن الكريم، ولهذا قالوا إن هذا الطوفان كان قد عم الأرض، ولكن هذا خطأ، لأن ذلك لا يُثبته القرآن الكريم.

... نزل هذا الطوفان حسب ما ورد في التوراة بعد 2262 سنة على ولادة سيدنا آدم عليه السلام، ولا شك في أن ذرية آدم كانت قد انتشرت وعمرت الدنيا القديمة أم جزءا كبيرا منها حتى ذلك الحين، ومن المستحيل وأيضا خلاف النص القرآني أن يكون نوحٌ قد أُرسل لهداية كافة الناس ووعظهم، وكذلك هذا خارج عن دائرة الإمكان أن يكون نوح قد وعظ في جميع نواحي الأرض المعمورة حتى ذلك الزمن، وأن يكون جميع أقوام البشر قد رفضوه بعد سماع وعظه، بل لا بد من أن يكون قاطنوا دول كثيرة واسعة لم يسمعوا شيئا عن نوح نبي الله ووعظه وهدايته الناس إلى صراط الله.

والقرآن أيضا يؤيد ذلك، لأن الله لم يقل إنا أرسلنا نوحا إلى كافة الناس، بل قال:

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ".[34]

فتُثبت هذه الآية المباركة أن نوحا كان قد أُرسل إلى قومه فقط، ولم يكن مبعوثا إلى الناس أجمعين، ومن ثم كان العذاب قد نزل على قومه فقط. وكذلك قال الله سبحانه وتعالى:

"وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ".[35] وكذلك قال: "وَلَا تُخَاطِبْنِيْ فِي الَّذِيْنَ

34- سورة المؤمنون، الآية:23.

35- سورة الأنبياء، الآية:76-77.

ظَلَمُوْا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُوْنَ".[36] وكذلك قال: "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ".[37]

ففي ضوء هذه الآيات المباركة يثبت أن العذاب كان قد نزل على قوم نوح فقط .

والذين يقولون إن طوفان نوح كان قد أحاط بجميع الأرض يستدلون بالآيتين القرآنيتين، أولاهما: " وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ".[38]

ولكن هذه الآية لا تدل على أن طوفان نوح كان عاما، لأن كلمة الأرض في هذه الآية معرفة بـ "أل" للتعريف، وكذلك كلمة الكافرين. فثبت من ذلك أن المراد بالأرض تلك الأرض التي كان يسكن بها قوم نوح وبالكافرين أولئك الكفار الذين كفروا بسيدنا نوح.

أما الآية الثانية فهي: " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ "..[39]

أرى أنه لا يصح الاستدلال بهاتين الآيتين على نزول طوفان على جميع الأرض، لأنهما تدلان فقط على أن الناس الذين عُذبوا بهذا الطوفان لم يبق منهم سوى ذرية نوح ... في الحقيقة حاول بعض علمائنا متبعين خطوات اليهود أن يجعلوا الطوفان عامًّا، وإلا فلا يوجد في القرآن ما يُثبت عمومية هذا الطوفان.[40]

وكذلك ناقش "سرسيد" خلال تناوله قصة سيدنا نوح موضوع ابنه الذي لم يركَب سفينته، وغرق في هذا الطوفان، في رأيه هذا الابن لم يكن ابنا حقيقيا له بل كان ابنا لزوجته "نعمة"، وهو قول مُحَمَّد

36- سورة هود، الآية:37.

37- سورة نوح، الآية:1.

38- سورة نوح، الآية:26.

39- سورة الصافات، الآية:77.

40- سرسيد، مقالات سرسيد، (رتبها: باني بتي، مُحَمَّد اسماعيل، مولانا)، لاهور، مجلس ترقي ادب، الطبعة الأولى: فبراير 1965م، ص:22-23

بن علي الباقر[41] وقول الحسن البصري[42]، وكذلك يُروى أن عليا ﷺ قرأ "ونادى نوح ابنها" والضمير لامرأته.. وقرأ مُحَمَّد بن علي الباقر وعروة ابن الزبير "ابنه" –بفتح الهاء– يريدان أنه ابنها إلا أنهما اكتفيا بالفتح من الألف، وقال قتادة: سألت الحسن البصري عن حال ابن نوح، فقال والله ما كان ابنا له، فقال: قلت له: إن الله حكى عنه أنه قال "إن ابني من أهلي" وأنت تقول: ما كان ابنا له، فقال: إنه لم يقل إنه مني بل قال من أهلي، وهذا يدل على قولي[43].

فثبت من هذه الأقوال أن هذا الابن لم يكن من صلبه، ولهذا السبب لا يوجد ذكرُه في التوراة مع أبناء سيدنا نوح عليه السلام.، وكذلك تناول "السير سيد" في هذا المقال أمر زوجته التي ذكرها الله في القرآن، ففي رأيه كانت له زوجتان، إحداهما كانت مسلمة ركِبت سفينته، وثانيتهما غرِقت في البحر وهي التي خانته، وكذلك تناول باختصار قضية عمر سيدنا نوح عليه السلام أيضا.

وأود أن أتناول هنا بشيء من التفصيل كتيبا باسم "طوفان نوح" كتبه مُحَمَّد اسحاق الدهلوي، يشتمل هذا الكتيب على ثمان وثلاثين صفحة وقام بنشره "كتب خانه شان إسلام" بلاهور، إنه سرد هذه القصة في هذا الكتاب الذي نراه مزيجا من النثر والشعر، ومن دأب هذا المؤلف أنه يحكي بعض تفاصيل القصة في النثر كما يبين بعضا منها شعرا، فمثلا يفتتح كتابه بهذه الآية المباركة:

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا "....[44]

ثم يأتي بمنظومة يتكلم فيها عن هذا الطوفان:

41- (57هـ/677م- 114هـ/733م) الإمام الخامس عند الشيعة الإمامية (الإثنا عشرية) و(الإسماعيليين) ومن أهل البيت، والده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب.

42- (21هـ/642م- 110هـ/728م) إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة، وكان سيد أهل زمانه علما وعملا.

43- هذا القول قد نقله الرازي في تفسيره. انظر: مُحَمَّد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر ، الطبعة الأولى: 1401هـ/1981م، ج:17، ص: 240 ، و سرسيد، مقالات سرسيد، رتبها: باني بتي، مُحَمَّد اسماعيل، مولانا، لاهور، مجلس ترقي ادب، الطبعة الأولى: فبراير 1965م، ص:22-23

44- سورة العنكبوت، الآية:14.

قصہ نوح پیغمبر کیا کہوں کانپتی ہے جس سے اک دنیائے دوں
ایک دنیا میں قیامت تھی بپا ہو رہا تھا جب کہ اک عالم فنا
ملک سارا ہورہا تھا غرق آب آ رہا تھا جب کہ طوفانی عذاب
ڈوبتے تھے شہر اور محل ومکاں چھارہی تھی باغ دنیا پر خزاں[45]

كيف أقص قصة نوح الرسول، والأرض مرتعدة بسببها، كانت القيامة قد قامت عليها... وفنى عالَم بسببها، وغرقت الدولة كلها في الماء عندما نزل العذاب عليها في صورة الطوفان، فغرقت المدن والبلاد... وأظلّ الخريف بستان الدنيا.

إنه أولا يبين صفات سيدنا نوح عليه السلام ثم يقول:

ایسے ہوتے ہیں خدا کے ایلچی غیض وغصے کی رمق جن میں نہ تھی
ان کو ایذاؤں پر صابر دیکھنا پتھریں کھا کھا کے پھر پھر دیکھنا
اشک گرتے قوم کے غم میں صدا صبر واستقلال ہو حد سے سوا
قوم سے بدلہ نہ لے جو خوش صفات قوم سے برہم نہ ہو جو نیک ذات
قوم کی خدمت کو ہو سینہ سپر اور دل میں ہو بلا کی درگزر[46]

هكذا يكون أنبياء الله... ليس في قلوبهم موضع للغيظ ولا للغضب، تنظرهم تارة يتحملون جميع الإيذاءات دون شكوى، كما تنظرهم مصطبرين على الضرب بأحجار تارة أخرى، دموعهم تسيل في هموم القوم، وصبرهم ومثابرتهم تتجاوز كل الحدود، هؤلاء الأبرار وأصحاب الأوصاف الحميدة لا ينتقمون من قومهم ولا يغضبون عليهم، إنهم يكونون مستعدين لخدمة قومهم دائما، وكذلك تكون قلوبهم مفعمةً بالعفو.

45 – الدهلوي، مُحَمَّد اسحاق ، طوفان نوح، لاهور، كتب خانه شان اسلام، ص:3
46- المرجع نفسه ، ص:4

ويقول عن سبب دعاء نوح على قومه: كانوا قد تجاوزوا جميع حدود العصيان والكفر، وكان الأمر قد تفاقم ووصل إلى أن كل واحد منهم كان يوصي أبناءه قبل موته بأن لا تصغوا إلى نوح المجنون ... بل عليكم أن تقذفوه بالأحجار وتؤذوه أينما تجدوه.

إنه يقول: وذات صباح كان سيدنا نوح يبين واقفًا فضائل كلمة لا إله إلا الله، إذ طلع عليه رئيس من رؤساء قومه حاملا ابنه الصغير على كتفه، فقال لابنه مشيرًا إلى نوح! حذار من هذا المجنون، وعليك أن تعرفه جيدا، لأن ضربه وجرحه محتّم عليك، فأخذ الولد خشبة وضرب بها رأس سيدنا نوح عليه السلام، وجرحه، فلما رأى ذلك سيدنا نوحٌ يئس من إصلاحهم، وبدأت عيونه تفيض من الدمع حزنًا، فرفع رأسه إلى السماء مناجيا ربه وقال:

اے خدا اے مالک کون ومکاں اے خدا اے خالق ہر دو جہاں
قوم سے امید اب مجھ- کو نہیں دودھ- پیتے جن کے ھیں چین بر جبیں
نوح صابر آج سے بس ملتجي قہر کوئي ان پر نازل کر ابھی
اس طرح سے ان کو زیر وزبر ایک بھی پھرتا نہ آئے بس نظر
یہ اگر زندہ رھے نابکار دشمني تجھ- سے کریں گےبے شمار
نسل جو ان سے چلے گی کفر کي فاجروکفار ھی ھوں گے سبھي(47)

يا الله! يا مالك الكون والمكان! ويا خالق العالمين.

قد يئست من قومي الذين أطفالهم الّرضع قد وصلوا إلى هذا الحد من سوء الخلق.

يتضرع إليك نوح الصابر اليوم أن تنزل عليهم غضبًا. دمّرهم حيث لا يُرى أحد منهم يمشي على وجه الأرض.لأن هؤلاء الاشقياء إن تذرهم أحياء لا يزيدوا إلا عداوة لك.ولا يلدوا إلا فجارا كفارا. ويقول واصفًا هذا الطوفان العظيم:

47- نفس المرجع، طوفان نوح، ص:11.

غیظ میں ہے قدرت پروردگار جس کی کچھ- حد ہے نہ کچھ- جس کا شمار
بن گئی رحمت کی زحمت آہ آہ ہو رہا ہے جس سے بس عالم تباہ
بن رہی ہے آج ہر ذی روح پر ہو رہی ہے خلق سب زیر وزبر
قوم سرکش کی بدولت یہ ہوا ہو گئے معصوم بھی سارے فنا
جانور دنیا جہاں کے مرگئے ما سوا کشتی کے جو تھے چل بسے
قوم سرکش نے بھی چکھا ذائقہ سرکشی کا آج بدلہ مل گیا
ہوگئے طبق کے طبق غرق آب کیسا عالمگیر یہ آیا عذاب
آدمی کیسے جہاں ڈوبے پہاڑ ملک سارا ہوگیا بالکل اجاڑ
ہو گیا پانی پہاڑوں سے بلند پڑگی پانی کی ان پر بھی کمند
کوہ جودی پر گزوں پانی چڑھا اس کی چوٹی پر بھی ستر ھاتھ- تھا
چھ- مہینے یہ رہا جوش وخروش اڑرہے تھے بس فرشتوں کے بھی ہوش
آخرش جب ہوگئی دنیاتمام اور رہا باقی نہ کوئی شے کا نام(48)

اليوم كانت القدرة الإلهية في منتهى غيظها وغضبها...فالماء الذي كان رحمة للناس في الماضي كان قد تحوّل اليوم إلى عذاب أليم غرق العالم فيه...كان كل ذي روح في أزمة عظيمة... وهلكت المخلوقات بسببها...صار المعصومون أيضا لقمة الموت بسب هؤلاء القوم الطاغين...مات جميع حيوانات الأرض ولم يبق منها إلا من ركب السفينة...اليوم ذاق القوم المعاندون جزاء عنادهم وكفرهم أيضا...غرق الجميع بسبب هذا العذاب الذي كان قد عمّ جميع العالم...أنى للأنسان أن يعصم نفسه من طغيان الماء الذي كان قد أغرق الجبال... ودمّر كل ما كان فوق الأرض... ارتفع

48- نفس المرجع، ص:25-26.

الماء إلى الجبال، فغرقت فيه ...وحتى جبل الجودي، كان الماء قد علا قمته...استمر هذا العذاب لمدة ستة أشهر، وكانت الملائكة مندهشين من هيبته...حتى انتهى كل ما كان على وجه الأرض، ولم يبق شيء عليها.

ومن شعراء الأردية من ذكر كلا من الطوفان والسفينة والجودي في شعره تلميحا، فقد ذكرنا في السطور الماضية أن "نوحا" لم يكن اسما لهذا النبي الجليل، بل كان لقبا له، لقب به بسبب كثرة تأسفه ونوحه وبكائه على ما بدر منه من الدعاء على الكفار، ولهذا السبب استخدم بعض الشعراء اسمه إشارة إلى كثرة البكاء، كما أن مِنهم مَن استخدم اسمه كناية عن عمر طويل، وكذلك لما أراد بعضهم أن يبالغ في بيان البكاء على الحبيب وديارہ استخدم تركيب "طوفان نوح" كناية عن بكاء مر ودموع غزيرة وماء كثير.[49]

وقمين بالذكر أن شعراء الأردية الذين استعاروا تركيبي "طوفان نوح" و"سفينة نوح" أو ذكروا جبل الجودي في أشعارهم كثيرون، ولا يتسع هذا المقال للحديث عن جميع الأبيات الأردية التي وردت بها هذه التراكيب، فنكتفي هنا بإيراد بعض الأبيات كأمثلة، يقول الشاعر سراج الدين سراج اورنغ آبادي[50]:

نہ آرام دل ہے نہ ہے حظ روح بھلا اس قیامت سے طوفان نوح[51]

في هذا البيت يشكو الشاعر تلك المصائب التي لازمته بسبب فراق محبوبته والآلام التي أصابته في سبيل ذلك، إنه أولا يشبه يوم الفراق بيوم القيامة ثم يخبر أن وقع هذا اليوم أي يوم الفراق أشد عليه من وقع طوفان نوح، وأن هول يوم طوفان نوح مع ما فيه من المصائب والمشكلات أهون عليه

49- مجموعة الباحثين، اردو لغت (تاريخي اصول پر)، كراتشي، اردو لغت بورڈ، يونيو 2005م، ج: 20، ص:554

50- الشاعر الأردوي الشهير الذي ولد في 11 مارس 1712م بمدينة اورنغ آباد، وتوفي بها في 6 ابريل 1764م، كان شاعر متصوفا، اشتهر بسبب مثنويه الشهير "بوستان خيال" وقصائده الغزلية,

51- سراج، سراج الدين اورنغ آبادي، كليات سراج، دكن، حيدر آباد، الجامعة العثمانية، 1358هـ/ 1940م، ص: 72.

من هول يوم الفراق، إنه يقول: لا راحة للقلب ولا للروح، فطوفان نوح أهون عليّ وقعا من فراق المحبوب.ويقول "مير تقي مير" – الشاعر الأردي الشهير– [52]:

نوح کا طوفاں ہماري کب نظر چڑھتا ہے میر جوش ہم دیکھے ہیں کیا کیا دیدہ تر کے ترے[53]

في هذا البيت يبالغ الشاعر "مير تقي مير" في ذكر تلك الدموع التي تسيل من عينه ويقول: أنى لطوفان نوح أن يترك أثرا في قلبي وقد فاضت عيني المبللة بالدموع أكثر منه.يقول:

اس کے وعدے کي وفا تک وہ کوئي ہوے گا جو ہو معمر نوح سا صابر ہو پھر ایوب سا[54]

(إن محبوبة الشاعر وعدته أكثر من مرة بأنها سوف تلقاها، ولكنها لم توف بوعودها هذه قط...فهل توفي بوعودها في زمن من الأزمان وهل تأتي للقائه في يوم من الأيام؟ يقول الشاعر عن ذلك): لا ينظرأحد الحبيبة موفية بوعودها إلا من يُعمَّر طويلا مثل سيدنا نوح ويصبر مثل سيدنا أيوب عليهما السلام. أما الشاعر "مصحفي غلام همداني" [55] فإنه يرى أن نهر الحب أعمق وأخطر من ذلك الماء الذي سبّبه طوفان نوح، فكل من دخل فيه غرق، حتى سفينة نوح لو تدخل فيه يُخشى أنها تغرق أيضا، إنه يقول:

آساں نہیں دریائے محبت سے گذرنا یاں نوح کي کشتي کو بھي طوفان کا ڈر ہے[56]

ليس من السهل عبور نهر الحب، حتى إن سفينة نوح تخاف من أنها تغرق فيه.

ويقول "مصطفى خان شيفته" – واحد من شعراء اللغة الأردية–[57] مثلا:

52– الشاعر الأردي الشهير الذي ولد في 28 مايو 1723م بمدينة آغره وتوفي في 22 سبتمبر 1810م بمدينة لكنؤ، وكان لقبه الشعري "مير".

53– مير تقي مير (حضرت)، كليات مير، لاهور، سنگ ميل پبليكيشنز، 1987م، ص:333.

54– نفس المرجع، ص:379

55– من شعراء الأردية القدامى الذي ولد سنة 1748م وتوفي سنة 1824م بمدينة لكنو بالهند.

56- مصحفي، غلام همداني، كليات مصحفي، قومي كونسل برائي فروغ اردو زبان، 2003م، ج:4، ص:275

طوفان نوح لانے سے اے چشم فائدہ دو اشک بھی بہت ہیں اگر کچھ- اثر کریں[58]

في هذا البيت يخاطب الشاعر عينه قائلا: أيتها العين لا فائدة في ذرف دموع كثيرة (وقد استخدم الشاعر تركيب "طوفان نوح" للدلالة على البكاء الكثير) تكفي دمعتان إذا كان لهما تأثير.

أما الشاعر الميرزا سلامت علي دبير[59] فإنه يمدح حبيبته الجسناء ويشببها بالحور العين، وبسفينة نوح في البيت التالي... إنه يحبها حبا جما، ويرى أنه لا يستطيع الحياة بدونها، إنها له طوق النجاة كسفينة نوح التي كانت وسيلة النجاة الوحيدة لراكبيها في ذلك الطوفان ، إنه يقول:

شوخي میں پری حسن میں حور بہشتی طوفان میں راکب کیلئے نوح کی کشتی

إنها ملِكة في الدلال و حوراء الجنة في الجمال وسفينة نوح للراكب في الطوفان.

وكان اسم واحد من الشعراء القدامى "مُحَمَّد نوح"، وكان اسمه الشعري "نوح"[60] إنه سمى ديوانه الأول باسم "سفينه نوح" أي سفينة نوح والثاني بـ"طوفان نوح"، إنه يقول في بيت من أبياته:

دریائے اشک ایک جہاں کو ڈبو گیا اے نوح یہ بھی نوح کا طوفاں ہو گیا[61]

57- (1806-1869م) كان من أهل الورع والزهد، ولد وتربى في مدينة دهلي، له مجموعات من شعره في الفارسية والأردية، إلا أن شهرته بتذكرة بعنوان: كلشن بخار، ترجم فيها لشعراء الأر دية. انظر: جراهام بيلي، الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، ترجمة وتحقيق: د. حسين مجيب المصري، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 1419هـ/1999م، ص:102.

58- شيفته، مصطفى خان، كليات شيفته، 1855م، ص:54

59- الشاعر الأردي الشهير الذي اشتهر بسب مراثيه في سيدنا حسين وآله رضوان الله عليهم أجمعين، ولد في التاسع والعشرين من شهر أغسطس سنة 1803م بمدينة دهلي وتوفي في السادس من مارس سنة 1875م بمدينة لكنو بالهند.

60- ولد الشاعر مُحَمَّد نوح الذي اشتهر باسمه الشعري "نوح ناروي" في اليوم الأول من شوال سنة 1296هـ الموافق 18 سبتمبر 1879م ب "بهواني بور" بالهند، وتوفي في اليوم العاشر من أكتوبر سنة 1962م بموضع اسمه "نارا" ومن دواوينه: "سفينه نوح" و"طوفان نوح" و"اعجاز نوح" للتفصيل انظر: ظفر الإسلام ظفر (الدكتور)، نوح ناروي حيات اور شاعري، مهاراشتر، نيشنل بكدبو، الطبعة الأولى: 1976م.

61- مُحَمَّد نوح صاحب نوح، سفينه نوح، اله آباد، مطبع استيندرد بريس، بدون ذكر السنة، ص:26

يخاطب الشاعر نفسه ويقول: يا نوح! قد أغرق نهر دموعك عالَمًا، فقد أصبح هذا النهر أيضا مضاهيا لطوفان نوح. وكذلك يقول:

نوح طوفان ھجر الفت میں کوہ جودي کي ڈھونڈتے ھیں آڑ[62]

في هذا البيت يشبه هذا الشاعر طول هجر الحبيبة وشدة وقعه عليه بطوفان سيدنا نوح ويسميه "طوفان هجر الألفة" ويقول إنه يبحث عن جبل الجودي ليلجأ إليه في هذا الطوفان.وكذلك يقول:

کب تک یہ سیل اشک غم، کب تک یہ طوفاں خیزیاں دنیا فنا ھو جائے گی اے نوح بس اے نوح بس[63]

في هذا البيت يمنع الشاعر نفسه عن كثرة البكاء على محبوبته قائلا: يا نوح! إلى متى تبقى حزينا... وإلى متى تسيل دموعك سيل العرم، دعك من هذا يا نوح لأنني أخاف أن الدنيا بمن فيها سوف تفنى بسببه.وكذلك يقول:

پھر اٹھا طوفان محبت نوح کریں تیار سفینہ[64]

في هذا البيت يقول الشاعر "نوح" مخاطبا نفسه: قد هاج وماج طوفان الحب من جديد، فعلى نوح (الشاعر) أن يصنع سفينة. ويقول الشاعر الميرزا حاتم علي[65]:

آنکھ سے نوح کا طوفان نہ گر جائے کہیں دیکھو دیکھو مجھے فرقت میں رولاتے ھو عبث[66]

في هذا البيت يخاطب الشاعر محبوبته التي فارقته ويقول لها: أنت تجعلينني أبكي بكاء مرا في فراقك، أخشى أن عيني ستفيض مثل طوفان نوح. ويقول الشاعر داغ الدهلوي[67]:

62- نفس الشاعر، اعجاز نوح، اله آباد، مطبع اسرار كريمي، بدون ذكر السنة، ص:82.

63- نفس المرجع ، ص:85.

64- نوح، اعجاز نوح، ص:176.

65- الشاعر الأردي الذي ولد سنة 1814م حسب قول خواجه عبدالرؤوف عشرت وتوفي سنة 1886 لما كان قد بلغ سبعا وخمسين سنة من عمره. انظر: هاشمي، منزه، بيغم صديقي، ميرزا حاتم علي بيغ مهر، حيات اور ادبي بس منظر، لكنو، نامي بريس، الطبعة الاولى: 1984م، ص:24

66- ميرزا، حاتم علي، الماس درخشان، مطبع الهي بخش، 1870م، ص: 83

برپا اگرچہ نوح کا طوفان ہو گیا افسوس ہے کہ داغ محبت نہ دھو گیا[68]

في هذا البيت يشير الشاعر إلى شدة وقع جرح الحب في قلبه ويقول وهو يشبه بكاءه المر بطوفان سيدنا نوح: بكينا بكاء مرا ولكن مع الأسف لم نستطع محو علامة حرقة المحبة.

وأود أن أنهي حديثي عن هذا الموضوع ببيت شاعرنا الوطني مُحَمَّد إقبال رحمه الله، الذي يشبه في إحدى قصائده التي يمدح بها وطنه جبال بلاده بجبال سيناء، إنه يرى أن جبل الجودي الذي استوت عليه سفينة نوح يقع في الهند. إنه يقول:

بندے کلیم جس کے، پربت جہاں کے سینا نوح نبی کا آکر ٹھہرا جہاں سفینا[69]

جباله (الوطن) مثل جبل سيناء، وسكانه يرون فيها آيات إلهية كما رأى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام من آيات ربانية وتجليات إلهية في ذلك الجبل المقدس، وسفينة نوح كذلك قد استوت عليها. ولا يفوتنا أن نذكر أن مُحَمَّد إقبال نظم في هذا البيت قول أولئك العلماء الذي يظنون أن جبل الجودي بالهند. يقول الزبيدي: "والجودي بضم الجيم وتشديد الياء: موضع، وقال الزجاج هو جبل بآمد، وقيل جبل بالجزيرة قرب الموصل، وقيل بالشام وقيل بالهند استوت عليه سفينة نوح".[70] نكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي تدل على أن الأدباء والشعراء الأردیین تناولوا قصة

67- الشاعر الأردوي الشهير الذي ولد في 25 مايو 1831 بمدينة دلهي، وتوفي في 17 مارس 1905م بمدينة حيدر آباد. كان اسمه الشعري "داغ" وقد اعترف بنبوغه في الشعر شعراء الأردية المعروفون، فقد كان من بين تلامذته مُحَمَّد إقبال و جغر مراد آبادي وسيماب أكبر آبادي ونوح ناروي وأحسن مارهروي.

68- داغ دهلوي، يادگار داغ، دهلي، كتابي دنيا، 2002م، ص:8.

69- مُحَمَّد إقبال، كليات مُحَمَّد إقبال الأردية، لاهور، إقبال اكادمي، الطبعة الحادية عشرة، 2013م، ص:114.

70- انظر: الزبيدي، مُحَمَّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية المصورة، 1415هـ/1994م، ج:7، ص: 531. ويقول البروفيسور يوسف سليم جشتي في شرح هذا البيت لمحمد إقبال (بالأردية): في هذا البيت نظم الشاعر مُحَمَّد إقبال ذلك الرأي المشهور في الزمن القديم في هذه البلاد أن سفينة نوح كانت قد استوت على قمة جبل من جبال الهند. انظر: جشتي ، يوسف سليم (البروفيسور)، بانگ درا مع شرح پروفيسور يوسف سليم چشتي، دهلي، اعتقاد پبلشنگ هاؤس، الطبعة الثانية: 1991م، ص:212

سيدنا نوح وطوفانه في ما أنتجته أقلامهم شعرا ونثرا، فمنهم من ألقى الضوء على قصة طوفان نوح وجبل الجودي في كتاباته، ومنهم من نقد هذا الموضوع وسلك سبيل المستشرقين، وأثار أسئلةً علميةً حول هذا الطوفان، ومنهم من كتب قصصًا وحكاياتٍ على منوال هذه القصة، ومنهم من تناول كلا من الطوفان والسفينة والجودي في شعره تلميحا.

المصادر والمراجع

1. إقبال، مُحَمَّد، كليات مُحَمَّد إقبال الأردية، لاهور، إقبال اكادمي، الطبعة الحادية عشرة، 2013م.
2. الدهلوي، داغ ، يادگار داغ، دهلي، كتابي دنيا، 2002م.
3. الدهلوي، مُحَمَّد اسحاق ، طوفان نوح، لاهور، كتب خانه شان اسلام.
4. سراج، سراج الدين اورنغ آبادي، كليات سراج، دكن، حيدر آباد، الجامعة العثمانية، 1358هـ/ 1940م.
5. سرسيد، مقالات سرسيد، (رتبها: باني بتي، مُحَمَّد اسماعيل، مولانا)، لاهور، مجلس ترقي ادب، الطبعة الأولى: فبرائر 1965م.
6. ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: التركي، عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر للطباعة والنشر، 1424هـ/2003م.
7. مجموعة من الباحثين، اردو لغت (تاريخي اصول پر)، كراتشي، اردو لغت بورڈ، يونيو 2005م.
8. مير تقي مير (حضرت)، كليات مير، لاهور، سنگ ميل پبليكيشنز، 1987م.
9. ميرزا، حاتم علي، الماس درخشاں، مطبع الهي بخش، 1870م.
10. نوح، مُحَمَّد صاحب نوح، سفينه نوح، اله آباد، مطبع استيندرد بريس، بدون ذكر السنة.
11. نفس الشاعر، اعجاز نوح، اله آباد، مطبع اسرار كريمي، بدون ذكر السنة.